« لقد جاء في النذير بالخطب ، فأتيتُ مسرعًا لأودّعهُ الوداع الاخير بانم يدي الطاهرة التي طالما باركتني وباركتكم ، واشارت الى الطريق القويم أن : اتبعوهُ فهدَتني وهدتكم ، ثمّ عاودتني ذكرى ثلاث عشرة سنة متوالية ، لازمتهُ في خلالها ، فما رأيتهُ يومًا تطرّق اليهِ الملل ، او شكا من كثرة العمل ، بل لا اكون مغاليًا ان قلتُ بأن الفقيد لم يبالِ بجسدهِ بل اضحّاهُ في سبيل الله ومرضاتهِ قبل ان عاجلهُ الموت ،

« أجل أضحّاهُ وامانهُ في سبيل نشر تعاليم السيّد المسيح الحقّة ، امانهُ في سبيل إحياء الاخويّات ، والجمعيّات ، والمحفلات الدينيّة العديدة ، وفي سبيل البرّ والاحسان . فصدقت فيهِ تلك الكلمة الخالدة . مات في الجسد ليحيا في الروح ، انّ الارواح الصالحة لا تموت

بدأ الفقيد حياتهُ بيننا ، يواصل الليل بالنهار ، لإحياء الاخويّات التي اخذ على عاتقهِ ارشاد ابنائها ، فهي وان كانت زاهيةً بفضل من تقدّموهُ لكن الجهاد الذي جاهدهُ انمى فروعها فازدهت ورواها بعرق جبينهِ فنمت ، فما كان عجبًا ما رأيناهُ يوم شهدهِ اذ هرع المئات يشيّعونهُ بقلوبهم ودموعهم وزفراتهم . . .

« رأيت النساء والشيوخ يبكونهُ بكاء الاطفال ، رأيتُ النساء والفتيات يذرفن عليهِ الدموع كأنهنّ فقدنَ عزيزًا لديهنّ ، هل أعزّ من هذا الراحل الكريم على قلوبنا ، جنديّ من جنود الكنيسة فقدناهُ بعد ان استبسلَ في الدفاع عنها خمسةً واربعين عامًا ، فوجب علينا رثاؤهُ ، كما حقّ علينا بالامس بكاؤهُ . . .

« ثمّ عدنا في بقعة قدسها المسيح بزيارتهِ والعذراء بطهارتها والقديس يوسف بزيارتهِ . (يريد مغارة بيت لحم) ، ثمّ عدنا مستريحًا ، انت احسنتَ في الحياة الينا ، احسَن الله في الممات اليك ،

ليلة الميلاد الاولى

عرّبها بتصرّف حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة في كليّتنا

في تلك الايام صدر امرٌ من الامبراطور أوغسطس قيصر باحصاء جميع رعاياه . فانطلق الجميع كلٌّ واحد الى مدينتهِ

وتعيّن ضابطان لمراقبة الاحصاء ، في بيت لحم وللسهر على حفظ الأمن . احدهما يدعى تُرْكُواتس ، من مذهب أبيقور المعروف باتّباع الشهوات ، وعمرهُ نحو خمسين سنة . والآخر يُستى أكتاڤيوس ، وعمرهُ نحو ثلاثين سنة . وكان هذا جليل المنظر ،

قليل الكلام، لا يكاد يُجيب على احاديث رفيقهِ الّا بكلمة او كلمتين. وكان ،طول هذا السفر، يتأمل في فيافي اورشليم ، وهيئتهُ تدلُّ على انه يفكر في حلّ مشكل اختاص عليهِ

في ذلك الحين ، كانت العيلة المقدسة قد جازت المضايق الممتدّة عند سفح جبل صهيون ، وقطعت وادي قدرون ، وتركت وراءها مدينة اورشليم

نادى تركواتس رجلين من الخفراء السائرين معه ، وامرهما بان يتقدّما الى بيت لحم ، ويعدّا جميع ما يلزم لراحتهم

وكانت العيلة المقدسة اذ ذاك قد وصلت الى ارض الرامة ، التي اشتهرت ببكاء راحيل على بنيها ، والليل قد نشر ظلامه ، فبدت تلك النواحي اوفر خشوعاً منها في غير ذلك الوقت . مرّ الضابطان بقبر راحيل ، فتقدّم الخفراء اليهود ليتبرّكوا بلثم الضريح . فانتهرهم تركواتس وامرهم بالرجوع وقال : « ما أعجب امر هؤلاء اليهود ! وما اعظم اوهامهم ! فأيُّ خرافة اكبرُ من وهمهم بانهم يُرضون الآلهة اذا قدّموا لها التقادم والذبائح ! »

والتفت الى إكتاڤيوس وقال : « هل انال الحظوة لديك ، ايها الفيلسوف العزيز ، واحصل على جواب ، وهل اصبتُ فيما قلت ؟ »

اجابه اكتاڤيوس : « لا ! بل قد اخطأتَ كل الخطإ . فانا لست على رأيك »

قال تركواتس : « قد تأكّد لي الآن انك لا تُريد الّا مخالفتي في الرأي ، او ملازمة الصمت . وانا لا إخالك اوفر عبادةً من غيرك . فاني ، منذ عرفتُك في خدمة قيصر ، لم أرك قدّمت للآلهة ولو عصفوراً »

اجاب اكتاڤيوس : « ذلك من شؤم حظي ، يا تركواتس . ولكن كيف تحسب ان لا نفع للذبائح الّا في مخيّلة بعض الناس ، ونحن نرى جميع البشر يُقبلون على هذه العبادة ؟ . . . لا ! لا ! فانَّ الانسان الخاطئ قد شعر ان لا بدّ لهُ من استرضاء عدل السماء . لذلك نراه ، اينما وُجد ، يلتمس ذبيحة ، ويودُّ ان تكون افضل منه ، فتصير جديرة بعطف قلب الآلهة عليهِ »

اجاب تركواتس ، وهو يُجهد نفسه ليضحك : « أنا مُقرّ بأن ليس لي ذكاؤك . ومهما يكن فلنترك هذه الاوهام ، ولنفكر في ما يجب علينا صنعهُ غداً . أمّا الآن فاودّ

منك ان تُطلعني على معنى اسم بيت لحم . فانّ كلّ اسم في لغة هؤلاء اليهود لهُ معنى شعريّ ، وانا اجد في اكتشافه لذّة وتسلية » . والتفت الى الخفراء ونادى : « يا أرام ! تقدّم وقل لي ما معنى اسم هذه البلدة الحقيرة ؟ » . واقبل على اكتاڤيوس وقال ضاحكاً : « سترى ان مدينة اثينة لا تُعدُّ بالقياس الى هذه البلدة شيئاً »

فأسرع ارام الى قرب فرس تركواتس ، وقال بصوت أخنّ : « بيت لحم ، يا مولاي ، معناها بيت الخبز »

قال : « وبعد ؟ »

قال : « وإنّ في هذا الاسم رمزاً الى أنّ بيت لحم ستقوت شعوب الارض كلها »

قال : « وبعد ؟ »

قال : « وان بيت لحم تدعى ايضاً أفراتة ، اي الخصيبة والمثمرة . وهي من نصيب يهوذا . وكان الاقدمون يسمّونها مدينة داود ، لانّ نبيّ الله هذا قد وُلد بها »

قال تركواتس : « داود هذا كان احد ملوككم ؟ »

قال ارام : « نعم ، يا سيّدي . وانّ الربّانيين عندنا يقولون ان داود الحقيقي ، وملك الارض كلّها ، سيولد هنا . وقد وعده الله بان تكون جميع الامم ميراثاً لهُ »

قال تركواتس : « ومتى يولد داود الحقيقي هذا ؟ »

قال ، ووضع يدهُ على حاجبه ليستوضح شيئاً رآهُ في الظلام

اجاب أرام : « انّ حساب اسابيع دانيال يدلُّ على قرب مجيئه » . .

قال تركواتس لاكتاڤيوس : « مَن المائي امام الخيل ؟ » فرفع اكتاڤيوس رأسهُ ونظر فقال : « ارى رجلاً مسكيناً وامرأة يسيران رويداً وبعد بضع خطوات تُدركهما »

قال تركواتس : « لعلّ هذه المرأة هي امّ مسيحك ؟ »

فانتفض أرام الشيخ لهذه الكلمة الملفوظة بتهكّم ، وقال بصوت تُمازجهُ عواطف الايمان والوطنيّة : « قد يكون ذلك ! »

واعاد اكتاڤيوس كلمة ارام بصوت منخفض وقال : « قد يكون ذلك ! » وشعر ان قلبهُ قد اضطرب اضطراباً غريباً . ولحق هو ورفيقهُ ذينك المسافرَين . فنادى تركواتس : « من انت يا رجل ؟ »

فالتفت المنادي ، واذا وجهٌ يقطر رقّةً ولطفاً ، وأجاب بالعبرانيّة . ففهم الجواب اكتافيوس وحده ، فقال لتركواتس : « يقول لك الرجل انهُ يُدعى يوسف ، وانهُ ماضٍ مع امرأته الى بيت لحم إطاعةً لامر قيصر »

قال تركواتس : « وما اسم المرأة ؟ »

فكلّم اكتافيوس الرجل وقال : « يسألك الضابط عن اسم هذه المرأة التي تظهر ابنتك لا زوجتك ؟ »

اجاب الرجل بالعبرانية . وترجم اكتافيوس الكلام لتركواتس وقال : « اسمها مريم »

وعند ذلك تحرّكت الخيل وفصلت بين الغريبين . فبقي يوسف قرب تركواتس ، فاخذ هذا يُلقي عليهِ اسئلةً كلُّها بلادة وحُمق . امّا اكتافيوس فأحسّ بانّ قلبهُ يتصدّع ، وظهر الاضطراب في وجههِ ، واخذتهُ عواطف لم يتمكّن من ابعادها عنهُ . فقال في نفسهِ : « تُرى ، هل تتحقّق احلامي ؟ . . » ولبث يفكّر في تلك التقاليد التي شغلت عقله منذ حين ، وهي تدلّ على ان قد دنا الزمان الذي يُخصب فيهِ المشرق خصباً جديداً ، وتتولّى قيادة العالم أجمع . . . واستمرّ حيناً يتأمّل في ذلك ويقول : « أحقيقةٌ تلك التقاليد ؟ . . » وهل يتخلّص البشر من التكُّع في الظلام ؟ . . . وهل يأتي إلهٌ الى الارض ، ويحمل الينا كنوز الحقائق ؟ . . »

ثم التفت الى المرأة وكلّمها بالعبرانية بصوتٍ مخفوض هادئ وقال : « انتِ ، يا من تُدعَين مريم ، لستُ ادري ما يحملني على استفهامكِ عن سرّ ما قُدّر لي . فيا بنت اليهود ، قد قرأتِ كتب انبيائك ، وها انا بين يأسي ورجائهم . فاذا كان عندك كلمةٌ تنيرين بها عقلي ، فلا تبخلي بها علَيّ »

فلم ترفض الفتاة سؤال الروماني . فالتفتت وجعلتْ نظر اكتافيوس يقع على وجهها . . . فظهر لها وجهٌ يعجز كلُّ لسانٍ عن وصف بهائهِ الملكي . وقالت بصوت لطيف خاشع : « طوبى للنقيّة قلوبهم فانهم يعاينون الله ! »

بعد هذا لم يعد اكتافيوس يسمع شيئاً . ولم يشعر الّا وهو بغرفة في احد فنادق بيت لحم ، وهو منحنٍ على مرفَع (طاولة) ورأسهُ بين يديهِ . . . ثمّ انتصب فجأةً وخُيّل اليهِ انّ نوراً عجيباً قشع الظلام . فاسرع الى سطح يُطلُّ على البريّة المجاورة ،

فشاهدها تتألّق ضياء ، واحسّ بان صمت ذلك الليل الهادئ قد انقطع ، واذا انغامٌ بعيدة تحمل اليه هذه العبارة العذبة المؤثّرة : « السلام لبني البشر ذوي الارادة الصالحة ! »

. . .

من ذلك الحين ، لم يعد اكتافيوس يبحث ، بل صار يؤمن ويحبّ . وذلك السلام الالهي لم يفارقهُ اصلًا . وما مرّ على ذلك الاحضاء شهران حتى مات . . . وآخر كلمة لفظها هي اسم تلك التي صادفها قرب بيت لحم . ففاضت نفسهُ وهو يقول : « مريم ! »

وبحثوا في مذكّرات هذا الروماني الشابّ ، فوجدوا أنّها انتهت في ٢٥ كانون الثاني وقد خُتمت بهذه الكلمات : «طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله ! » ووجدوا في ذيل هذه الكلمات اسمَ تلك التي قدّست شفتيهِ عند ساعة موته ، ألا وهو اسم « مريم »

(عن رسالة قلب يسوع)

خطّة حديثة لتهذيب الناشئة

لحضرة الاب يوسف مناسّا اليسوعي

للانسان خواطر تجيش في صدرهِ وافكار تتضارب في رأسه ، ان هو فسح لها حملتهُ الى اقاصي حدود الشطط ، وقذفتْ بهِ الى مواطن التهوّس . شأن امرأةٍ تطرّفت بهواجسها مؤخّرًا وشردت بتصوراتها . ويا حبّذا لو وقفت دون ذلك الحدّ ، بل راق لها ان تخطو خطوة الى ان تجاهر بتلك المبادئ . فرغبت الى جُلّة شبيتنا ان تُنكّب بهم عن محجّة مقاليد اجدادنا ، وتحيد عن افكار قرّرتها العصور السوالف . وكان أن لحسن طالعها ، مدّت اليها الظروف يد الاعانة

حظيَت تلك السيدة باقتراح رفعهُ اليها نادي شبيبةٍ زاهرة في احدى مدننا